مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015
المجلد 15 / عـــدد خاص (2025)، ص 144 - 161

الأنساق المضمرة في الرّواية النّسائية الجزائرية

(رواية "قلب الإسباني" لـ: "جميلة طلباوي" أنموذجا)

The implicit patterns in the Algerian women's novel

(the novel "The Heart of the Spaniard" by "Djamila Talbaoui" as a model.)

د. نبيلة أعبش*
جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي (الجزائر)
nabilaabbeche83@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/06/21 تاريخ القبول: 2025/09/23 تاريخ النشر: 2025/09/29

ملخص:

تُحاول هذه الدراسة العلمية مُساءلة خطاب الأنساق المضمرة في رواية (قلب الإسباني) لـ: "جميلة طلباوي"، بوصفه نصًّا ثقافيّا ثريّا، ومُؤثّثا بامتياز، تداخلت فيه مجموعة من القضايا الاجتماعيّة المعبّرة عن الواقع الاجتماعي الجزائري، كما يعكس هذا النّص ثقافة البلد ويصوّرها بشكل مُدهش ومُحاتل، ويحفر في تاريخه ونكساته، في محنه وفواجعه، وآلامه وآماله، بطريقة لافتة للانتباه بيّنت لنا انطباعات ومُميّزات، وأهداف الكتابة السّردية عند "جميلة طلباوي" على الأخصّ. ومن بين هذه الأنساق نجد: نسق الهويّة (هويّة الأنثى، هويّة المكان، هويّة البلد)، نسق الغربة (الهجرة خارج الوطن)، نسق الثّقافة الجزائريّة (العادات الشّعبيّة التي تتميّز بها بشار/الجزائر)، نسق التّاريخ والمجتمع.

الكلمات المفتاحيّة: النّقد الثّقافي؛ الرّواية الجزائريّة؛ أنساق مضمرة؛ جميلة طلباوي؛ ثقافة جزائريّة.

Abstract:

This scientific intervention attempts to question the discourse of the implicit systems in the novel (The Heart of the Spaniard) by: "Djamila Talbaoui", as a rich cultural text and furnished with distinction, in which a group of social issues expressing the Algerian social reality are intertwined. This text also reflects the culture of the country and depicts it in an amazing and deceptive way, and delves into its history and setbacks, its hardships and tragedies, its pains and hopes, in an eye-catching way, which showed us the impressions, characteristics, and goals of narrative writing by "Djamila Talbaoui" in particular. Among these systems we find: The identity system (female identity, identity of place, identity of

* د. نبيلة أعبش nabilaabbeche@gmail.com

country), The alienation system (migration outside the homeland); The Algerian culture system (popular customs that characterize Bashar/Algeria), The history and society system.
Keywords: Cultural criticism; Algerian novel ; implicit systems ; Jamila Talbaoui ; Algerian culture.

مُقدمة:

إنّ لكل نوع أدبيّ مُقوّماته التي يتميّز بها، وأيضا المسوّغات التي تدلّ على أهمّية وجوده في فترة مُعيّنة من التّاريخ والمدّة التي بقي فيها، هذه الفترة التي تدلّ على أسباب استمراريّته وكينونته إن صحّ التّعبير. فالرّواية النّسائية العربيّة نوع أدبيّ مُختلف قائم على العديد من المتغيّرات الجماليّة والموضوعاتيّة والثّقافية التي طرأت عليه.

ظهور أيّ نوع أدبيّ إلى السّاحة الأدبية والنّقدية، ليس من باب الصّدفة؛ بل إنّ وجوده يعكس حقيقة أو ظاهرة توجّب على القارئ أو النّاقد معرفتها ودراستها بشكل منهجيّ وعلمي، لأنّ تلك الظّاهرة قد تكون محكومة بعوامل مُختلفة، كالعوامل الاجتماعيّة والسيّاسية، والثّقافية والدّينية وغيرها،" إنّ النّوع الأدبي محكوم في نشأته وتطوّره بوضع تاريخيّ اجتماعيّ مُحدّد ومحكوم في طبيعته وطاقاته ووظيفته بالوفاء بحاجات اجتماعيّة مُعيّنة يحدّدها ذلك الوضع التّاريخي الاجتماعيّ الذي أثمر هذا النّوع بالأساس."[1] ولا ننسى أنّ هذه الضّوابط تختلف من مُجتمع إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر.

يجد المتلقّي نفسه أمام نصّ روائيّ مُراوغٍ، ومتميّز من نواحي كثيرة، منها النّاحية الفنية واللّغوية، وأيضا من ناحية توظيف الرّوائية للثيمات النّسقيّة التي اشتغلت عليها، ومن حيث التّأثيث السّردي الذي نجحت في صناعته وتكوينه بشكل جيّد. وهذا ينمّ عن تحكّم كبير في أدوات الكتابة السّردية الحديثة.

تزخر هذه الرّواية النّسائية بمخزون ثقافيّ هائل، وهو ما يعرف في الوقت الرّاهن بـ: "ثقافة النّص"، هذا النّص الذي تتجلّى في ثناياه العديد من الخطابات والأنساق سواء الظّاهرة منها أو الخفيّة، فالظّاهرة يسهل كشفها وفهمها من قبل المتلقّي، أمّا المضمرة فهي تحتاج إلى إعمال الفكر والعقل لفكّ شفراتها، والتّسلح بالقراءة الفاحصة العميقة، التي من شأنها أن تغوص في طبقات النّص وأعماقه، وسبر أغواره وحقائقه.

لذلك فالرّواية فنّ تعبيريّ يتّسع للكثير من القضايا الاجتماعية المختلفة، فـ " جميلة طلباوي" حاولت من خلال روايتها هذه نقل وإبراز تلك الصّراعات الدّاخلية والمستترة، التي تُواجهها المرأة الجزائريّة عُموما في حياتها اليوميّة، من خلال تفاعلها مع الآخر الرّجل سواء في صورة المواجهة أو التّكامل أو التّجاوز أحيانا.

تقوم هذه الدّراسة على المنهج الثّقافي ووفق المنظور السّوسيو- ثقافي، وهي قراءة نقدية تنهل من الدّراسات الثّقافية والسّوسيولوجيّة للرّواية، من أجل تحقيق غايتنا التي نودّ بلوغها وهي الجمع بين الأبعاد الواقعيّة والفكريّة الثّقافية بالتّحديد. ولذلك نطرح التّساؤلات الآتية:

- ما مفهوم كلّ من المصطلحات الآتية: النّقد الثّقافي، الثّقافة، النّسق المضمر؟.

- فيما تتمثّل مبادئ وخصائص النّقد الثّقافي؟
- ما هي الأنساق الثّقافية المضمرة في هذه الرّواية؟.
- فيما تتمثّل القيم الجماليّة واللّغويّة والسّردية التي تتميّز بها هذه الرّواية؟.
- ما خصوصيّة السّرد النّسوي الجزائري المعاصر؟.

1. مفاهيم ومُصطلحات:

1.1 مفهوم النّقد الثّقافي:

يُعنى النّقد الثّقافي "بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثّقافي، بكلّ تجلّياته وأنماطه وصيغه ما هو غير رسمي وغير مُؤسّساتي، وما هو كذلك سواء بسواء، من حيث دور كلّ منها في حساب المستهلك الثّقافي الجمعي."[2] من سماته نجد:

- **التّكامل**: من حيث أنّه لا يلغي كلّ ما هو موجود في النّقد الأدبي السّابق، من تذوّق وجمال إلى أداة نقدية للخطابات، وفي نفس الوقت هو يحتاج إلى تغيير في المصطلحات والأفكار.
- **التّوسّع**: ذلك أنّ النّقد الثّقافي ينظر إلى الأفق، حتّى يلامس النّشاط الإنساني، فهو يدرس عدّة أشكال لهذا النّشاط.
- **الشّمول**: يوسّع النّقد الثّقافي مجالاته ليجعلها خاصّة لكلّ مناحي الحياة، ذلك أنّ النّشاط الإنساني كلّه بحاجة إلى نقد، فالأساس الوحيد الفعّال لنقد الأدب هو نقده حياتنا عن طريق اختبار ما، إذا كنّا نساعد قدما أكثر حركة مبدعة في مجتمعنا.
- **الاكتشاف**: يُحاول النّقد الثّقافي ربط الأدب بالأفكار والثّقافات، محاولا بذلك تطويرها وتغييرها بما يواكب العصر الرّاهن وتحوّلاته، كما أنّه يدعو إلى اكتشاف المضمر في النّصوص، والتّمعن في جماليّات النّص في حدّ ذاته، من ناحية العلامات والرّموز السّيميائيّة الدّالة.

وعليه جاء النّقد الثّقافي واسعا شاملا لكلّ المفاهيم، وهذا يرجع لارتباطه بمفهوم الثّقافة نفسها، ويعني ذلك الكلّ المعقّد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفنّ، والأخلاق والقانون، والعادات والطّقوس، وأيّة قدرات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع.

2.1 مفهوم الثّقافة:

الثّقافة لغة هي من المصدر الثّلاثي (ثقف)، يقال: "ثَقِفَ الشّيء ثقفا وثِقافا وثُقوفة: حذقه، ورجل ثقِفُ وثَقف وثُقُفٌ: حاذق فهمٌ، ويقال: ثقف الشّيء بمعنى: سريع التعلّم والإدراك والفطنة، ومنه المثاقفة والثّقاف والمثاقفة: أي العمل بالسّيف يقول الشّاعر: وكأنّ لمع بروقها في الجوّ أسياف المثاقف. وتعني الثّقافة كلّ ما توصّل إليه الإنسان في الحقول العامّة، من أدب وفكر، وفنّ وصناعة، وبلاغة وحساب، وموسيقى وهندسة وغيرها."[3]

أمّا معنى الثّقافة اصطلاحا:" فهي كلٌّ مُركَّبٌ، يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون، والأخلاق والقوانين والأعراف وغير ذلك من الإمكانيّات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عُضوا في مُجتمعه."[4]

"الثّقافة يمكن أن تكون نموذجا للكيفيّة التي نعيش بها، أو شكلا من هيكلة الذّات أو تحقيق الذّات، أو ثمرة زمرة من أشكال الحياة لجماعة كبرى من النّاس، وقد تكون الثّقافة نقدا للحاضر أو صورة للمستقبل."[5] ذلك أنّ الثّقافة تمتلك عنصرا كونيّا خاصّا، هو الذي يجعلها تسمو على الإقليميّة والقوميّة والمحلّية والآنية والعرقيّة والطّبقيّة وغيرها من التّصنيفات التي ترهق الثّقافة وتقيّدها.

"هي واحدة من أهمّ الخصائص المميّزة للجماعات البشريّة، فهي كلّ ما هو قِيَمْ واحتفالات ووسائل حياة تُؤسّس لجماعة ما، وتميّزها عن غيرها."[6] فطابع الشّموليّة والخُصوصيّة هنا، هو جوهر اشتغال النّقد الثّقافي أساسًا. نستنتج من خلال كلّ هذه الأقوال، أنّ الثّقاف هي تدلّ على نمط الحياة الكلّية للمجتمع، بما في ذلك المحادثات اليوميّة والأنشطة الإنسانية المختلفة المجالات. وتتفرّع الثقافة بحسب مواضيعها وقضاياها، ولذلك نجد من بين أنواعها ما يأتي:

- **الثّقافة السّياسيّة:** هي المتعلّقة بالاتّجاهات التي لها علاقة بالأنظمة السّياسيّة، وتُستخدم في هذه الثّقافة مجموعة من المصطلحات مثل: العدل، السّلطة السّياسية، المشاركة السّياسيّة، الولاء والانتماء السّياسي، المصالح العامّة، الوعي السّياسي المجتمعي أو الدّولي وغيرها.
- **الثّقافة الاجتماعيّة:** هي مجموع العلاقات التي تربط بين الأفراد والجماعات بواسطة التّفاعل، فالمجتمع يمثّل شبكة من العلاقات الاجتماعيّة التي تضبط نظامه وسلوكه ونمط حياته بشكل عام. وتستخدم في هذه الثّقافة مصطلحات خاصّة مثل: نظام اجتماعي، خصائص اجتماعيّة، التّفاعل الجمعي وغيرها.
- **الثّقافة التّاريخيّة:** هي الثّقافة التي تركّز في مضامينها على القيمة الزّمنية للأحداث والأفكار، وتتحدثّ عن الواقع التّاريخي الذي يستمدّ منه الإنسان مفاهيمه التّاريخيّة وينقلها. فالثّقافة التّاريخيّة تعتمد على نقل المعرفة التّاريخيّة التي يتميّز بها الإنسان والتي تشمل المعلومات، الحقائق، المفاهيم، وهذه الأخيرة تعدّ بمثابة البعد المعرفي للثّقافة التّاريخيّة. ويتمّ استعمال مصطلحات مثل: السّيرورة التّاريخيّة، الحقيقة التّاريخيّة، الوجود التّاريخي وغيرها.

3.1 مفهوم النّسق:

يدلّ النّسق على تلك العناصر المترابطة والمتمايزة، فكلّ ظاهرة من الظّواهر، يعتبر نسقا متفاعلا وديناميًّا"[7] كما أنّ النّسق هو عبارة عن مجموعة العلاقات المنتظمة المستقرّة بين أجزاء أو عناصر كلٍّ معيّن، وهذه العناصر تعمل سويّا لتؤدّي وظيفة مُحدّدة.

معناه، أنّ النّسق هو الانتظام والتّناسق والاتّساق، أي أنّ النّسق هو النّظام الذي يقوم بترتيب وتجميع الأشياء والعلاقات الثّقافية معا، والتي تشترك في نفس الخصائص والسّمات الثّقافية.

إذن، إنّ الثّقافة هي مجموع العادات والتّقاليد، والعقائد والأفكار ...إلخ، التي يتميّز بها المجتمع.

4.1 مفهوم النّسق الثّقافي:

القصد من هذا المصطلح النّقدي، هو التّعبير عن مُختلف المواضعات المضمرة أو الظّاهرة، كالمواضعة الاجتماعية والدّينية والأخلاقيّة، والاستطيقيّة والثّقافية وغيرها، هذه التي تفرضها بيئة مُعيّنة أو مجتمع ما. والأنساق المضمرة "لا تقتصر على الأدب الرّسمي أو المعتمد في ثقافة ما؛ وإنّما تتجاوز ذلك إلى الأدب غير الرّسمي أو غير المعتمد كالأدب الشّعبي مثلا.

5.1 مفهوم النّسق المضمر:

كلمة المضمر مأخوذة من كلمة (الإضمار)، والإضمار عكس الإظهار، ومعناه لغة: "الإخفاء، يقال: أضمر الشّيء أي: أخفاه، وأضمر في نفسه شيئا بمعنى: عزم عليه بقلبه، فرس ضامر: هزيل. والإضمار والمضمر والضّمير لها مدلول واحد."[8]

أمّا دلالته اصطلاحا، فهو إسقاط الشّيء لفظا لا معنى، ذلك أنّ الإضمار ما ترك ذكره من اللّفظ وهو مراد بالنّية. معناه أنّ النّسق المضمر هو طريقة يعبّر بها الأديب عمّا يريد بعيدا عن مقصد الرّقيب الثّقافي المؤسّساتي، ويتّخذ من المضمر النّصي وسيلة له للإفصاح عن المكبوت المعارض للنّسق المهيمن.

نستنتج أنّ النّسق المضمر، يتعلّق بالمؤلّف المخفي المتحكّم في صناعة النّص، والمتجلّي في ذاكرة المبدع وتكوينه الاجتماعي والثّقافي، ولولاه لما أنتج النّص، ويتمّ تمريره بمسحة جماليّة غير جليّة، فيتكوّن لدينا نصًّا مُنسجمًا مُتفاعلا، يراعى فيه مُختلف القيم الاستعماليّة في السّياق.

6.1 العنوان كنسقٍ مضمرٍ:

يُعرف أنّ العنوان الرّوائي اختصار لغوي، وتركيب دلاليّ سيميائي لمضمون النّص، فعتبة العنوان النّصي مُهمّ جدّا في فهم واكتشاف أسرار الرّواية ومقاصدها كلّها.

وبما أنّ العنوان الرّوائي يحمل أبعادا أيقونيّة رمزيّة؛ فهو يفتح شهيّة المتلقّي، ويجعله يبحث بعمق عن دلالته ومعانيه "فالعنوان هو الوسيلة الأولى لإثارة شهيّة القراءة."[9] بهذا يمتلك العنوان سلطة التّأثير والإغراء.

2. تجلّيات الأنساق المُضمرة في رواية (قلب الإسباني) لـ: "جميلة طلباوي":

1.2 نسق البحث عن الهويّة:

سعت الكاتبة في هذا السّرد الرّوائي إلى البحث عن هويّتها، فمن خلال الأماكن والشّخصيّات التي وظّفتها في عملها هذا، يتبدّى لنا ذلك البعد الهويّاتي متأجّجا فيها، فالأنثى عندما تكتب عن قضاياها ومواضيعها الخاصّة "تُدرك تماما أنّ الهويّة الحقيقيّة لها، تتحقّق من خلال وعيها بالكتابة ووعيها بالأنوثة، ثمّ إنّ اكتساب هوية ثقافيّة قد بانت ملامحها عندما قرّرت المرأة الكاتبة _ بعد صراعات كثيرة _ امتلاك ضمير (أنا) الذي من خلاله تمكّنت من التّعبير عن ذاتها وقضيّتها، ولم تعد بحاجة إلى من يعبّر عنها بلسانها أي الرّجل."[10]

أضحت المرأة قادرة على أنْ تعبّر عن ذاتها بنفسها، وهذا الدّور الفاعلي الذي تقوم به، يجعلها مميّزة ومختلفة" فالذّات النّسائيّة موضوع سردي ثقافيّ، يجمع شمل النّساء كلّهنّ ويوحّد رؤيتهنّ، لأنّ المرأة لها وظيفة اجتماعيّة وسياسيّة وفكريّة وفنيّة ... إضافة إلى كونها مربيّة للأجيال وبنّاءة المجتمعات."[11] كما سعت المرأة إلى خلخلة النّظام الذّكوري أو الثّقافة الأبويّة، هذه الثّقافة التي أوجدتها الأعراف الاجتماعيّة منذ القدم، لإثبات وجودها ومكانتها، وهويّتها وذاتها، لأنّ لها مؤهّلات لغويّة وفكريّة وإبداعيّة قادرة على التفوّق على الرّجل في العديد من القضايا. نجد من ضمن القضايا المعالجة في الرّواية، والتي تتعلّق بإثبات الهوية النّسائية اجتماعيًّا:

أ) المرأة والتّهميش:

إنّ تمثّلات التّهميش الاجتماعي في هذا العمل السّردي، قد تجسّد في شخصيّتين مُهمّتين: الشّخصية الأولى هي شخصيّة "**أم العيد**" التي عانت معاناة كبيرة جرّاء التّحقير الذي تعرّضت له في حياتها ومحيطها وأهل زوجها، هي امرأة جزائريّة لم يرزقها الله سوى البنات، وبعد فترة طويلة جاءها الذّكر الذي كان يعدّ في عرف الناس هو الأساس، فهم يمجّدون الذّكر ويفضّلونه على الأنثى. عاشت "أم العيد" شتّى أنواع العذاب النّفسي من أهل زوجها، وخاصّة أمّ الزّوج المسمّاة "أما سيتي" التي كانت تهدّدها بتزويج ولدها بامرأة أخرى لتنجب له الذّكر. تقول السّاردة:" المرأة بدون أولاد ذكور في عرفهم خيمة بلا أوتاد الخيمة يشدّوها أوتادها، والمرا يشدّوها أولادها."[12] لكن رحمة الله كبيرة فبعد مدّة أنجبت "أم العيد" ولديهما "أيوب" و"عبد النّور"، اللّذان خلّصاها من ذلك الصّراع، فهما السّند القوّي الذي واجهت به استبداد الأسرة التي تعيش معها.

أمّا الشّخصية الثّانية فهي شخصيّة "**العائشة**"، وهي ابنة "أم العيد" التي لم تستطع إنجاب الذّكور، ورغم أنّ زوجها كان رجلا مُتعلّما؛ إلّا أنّه ظلّ مهووسا بإنجاب الذّكر كغيره من الرّجال، ولم يشفع له علمه في تفهّم الأمر، تقول السّاردة: "زوجها مُتعلّم ويعمل معه كممرّض في نفس المستشفى، ويعرف جيّدا أنّ الرّجل هو المسؤول عن جنس المولود، إلّا أنّه هجر العائشة بعد أنْ أنجبت الفتاة الخامسة."[13]

ب) المرأة ودورها الاجتماعي:

إنّ مساعدة الغير ومدّ يد المعونة للنّاس، جعل من شخصيّة "**طامو**" التي حافظت على خدمة الزّاوية التي ورثتها من عائلتها، فالزّاوية لها دور مهمّ في غرس القيم وتعاليم الدّين الإسلامي للأجيال اللّاحقة، تقول السّاردة: " إنّها شابّة تجد متعة كبيرة في إعداد الطّعام لضيوف الزّاوية وفي تنظيفها وغسل أفرشتها."[14]

كما أنّ دور المرأة في المجتمع قد تعدّى مُجرّد أن تكون زوجة ومربيّة، أو أن تقوم بوظيفة أسريّة ومنزليّة، فهي الطّبيبة أيضا فكانت شخصيّة "المرأة الجزائريّة" شخصيّة قويّة وفاعلة، ورغم أنّ بعض النّساء لم تدرس في مدارس تعليميّة وجامعيّة خاصّة؛ إلّا أنّها كانت تمتلك المهارة في توليد النّساء، ومُساعدتهم في صناعة وصفات لعدّة أمراض يعانين منها.

ت) المرأة المتمرّدة على عادات المجتمع وتقاليده:

مثّلت شخصيّة "**وهيبة**" شخصّية المرأة المتمرّدة على أعراف وعادات المجتمع الجزائري، فهي فتاة مُتعلّمة وخريّجة من الجامعة، كانت تعاني من النّظرة المجتمعية لها، فالمجتمع لا ينظر إليها إلاّ من خلال الجسد لا الفكر والثّقافة وهذا ما دفع بها إلى أنْ تكوّن عدّة صداقات افتراضيّة مع الرّجال، عن طريق الفضاء الأزرق، كما أنّها قد تعرّفت في فترة وجيزة في الواقع على رجل أعمال سعودي فهربت معه. هذا التّصرف كان بالنّسبة لها تحرّر من قيود مجتمعها، من أجل الحصول على حياة أفضل من واقعها الضّيق ذاك.

ث) المرأة وتحوُّل المبدأ:

غالبا ما يتمّ الحكم على ثنائيّة (الرّجل والمرأة) على أنّها علاقة (قوّة وضعف)/ (عقل وعاطفة)، إلّا أنّ شخصيّة "صوفيا" أثبتت عكس هذا الاعتقاد الذي ساد طويلا، فـ"صوفيا" طبيبة جميلة متمكّنة في عملها، وقويّة الشّخصية، حدث وأنْ أُغرمت بـ"عبد النّور" الذي كان يعمل صيدلانيًّا، فقد جمعهما مجال عملهما وأيضا الحب الكبير الذي نما بينهما. فكانت "صوفيا" تعتبر "عبد النور" موطنها وملجأها، وكان هو الآخر يرى فيها السّند والأمان والأهل. إلّا أن أتى اليوم الذي تخلّت عنه نهائيًّا، تقول السّاردة: " تخلّت عنه منذ ظهرت صورة صديقه علّال في الجرائد على أنّه مُتورّط في العمليّة الإرهابيّة الأخيرة، تَرجّاها أنْ تسمعه، أنْ تُعطيه فرصة ليشرح لها ما حدث."[15]

فضّلت "صوفيا" حياتها واستقرارها على تلك العلاقة العاطفيّة التي عاشتها مع "عبد النّور"، وهذا ينمّ عن وعيها الكبير ورجاحة عقلها على عاطفتها.

2.2 علاقة المرأة بالآخر الذّكر:

- **علاقة تكامل وانسجام:**

تجسّدت هذه العلاقة المنسجمة والمتكاملة بين "صوفيا" و"عبد النّور"، فقد نشأت بينها علاقة حبّ كبيرة، ومثّل كلّ واحد منهما للآخر الملجأ والسّند، فهذه العلاقة لم تكن علاقة بين شخصين؛ بل كانت علاقة بين حضارتين، حضارة إسبانيّة وعربيّة، تقول السّاردة:" كان محظوظا بتعرّفه على صوفيا، التي أعجبت به وأحاطته برعايتها من أوّل يوم التقيا فيه صدفة في أحد مطاعم مدريد."[16]

وكانت شخصيّة "أم العيد" وزوجها مثال العلاقة المترابطة، فرغم أنّ "أم العيد" تأخّرت في إنجاب الذّكر الذي انتظرته العائلة لسنوات؛ إلّا أنّ زوجها صبر عليها واحتواها، بخلاف أمّه التي كانت تضغط على كنّتها بشدّة، وكأنّ الأمر بيدها هي.

- **علاقة ضياع وتيه:**

جمعت "علال" وحبيبته "محجوبة" علاقة تيه وحرمان، ورغم أنّ "علال" كان رجلا سكّيرا؛ إلّا أنّه أحبّ "محجوبة" حبّا كبيرا، وبعد أن فرّق القدر بينها، وتزوّجت من رجل آخر، فَقَدَ شهيّته في الحياة، وقرّر أن يهاجر من وطنه هربا من واقعه المرير، تقول السّاردة:" لو فاز علال بمحجوبة لوجد فيها السّكينة والعزاء لخيباته، لكن زواجها زاده يتما وغربة وبتر علاقاته بالمكان، ومن يومها قرّر الهجرة، وبدأ في التّخطيط لذلك كثيرا ما يردّد عبارته التي أصبح معروفا بها: كرهت كلّ شيء."[17]

نفس الأمر بالنّسبة لـ "عبد النّور" و "حوريّة"، فحوريّة امرأة جميلة ومتعلّمة وتعمل في التّعليم، وعضوة في معهد التّكوين الخاصّة بالمعلّمين، أحبّت "عبد النور" كثيرا، وكانت قد أخبرتها "أم العيد" بأنّها ترغب بها زوجة لابنها، ولكن ما فتأت وأن سمعت بزواجه من "صوفيا" في إسبانيا، فحزنت حزنا عظيما لسماعها هذا الخبر.

- **علاقة تضحيّة:**

مثّلت هذه العلاقة شخصيّة "أيوب" و"**مريامة**"، كان أيّوب مسؤولا عن عائلته كلّها بعد وفاة أبيه، دائما ما يكون مشغولا في عمله، من أجل توفير احتياجاته واحتياجات أمّه وأخواته وأيضا أخوه المغترب، فالعلاقة التي كانت بينه وبين زوجته هي علاقة احترام مُتبادلة، رغم أنّ زواجهما كان تقليديّا؛ أنجبت له ولدا واحدا فقط ورغم هذا لم يتخلّ عنها مُطلقا، وهي الأخرى كانت تسايره ولا تردّ له أيّ طلب، مُشكلة "أيوب" أنّه كان مقصّرا في حقّ ولده، ممّا ولّد فجوة كبيرة بينهما، ولم يعرف ذلك إلّا بعد أنْ كبر ابنه للأسف.

3.2 مكانة المرأة عند الرّجل:

- **شخصيّة "أيّوب":**

ارتبطت الشّخصيّة الذّكورية في هذه الرّواية الجزائريّة بقضايا المرأة بالدّرجة الأولى، وأحيانا اكتسبت هوية المرأة أبعادًا كثيرة من خلال الرّجل نفسه، فشخصيّة "أيوب" كانت هي الأبرز في هذا الموضوع، فأيوب رجل حافظ لكتاب الله تعالى، ولطالما يردّد مقولة أمّه "أم العيد": (الله يجعل خويا سلطان وأنا وزيره)، إنّ علاقة أيوب بإخوته البنات وأخوه "عبد النّور" جيّدة وقويّة، فهو يهتمّ بهم أكثر من نفسه، ولقد لمسنا حجم الإخلاص والتّفاني والحبّ الذي يقدّمه لعائلته، ونجده يقف مع الجميع إذا حدثت أيّ مشكلة، مثل استيائه من زوج أخته المتعلّم، الذي تخلّى عنها لأنّها أنجبت له أنثى!، كما أنّه لم يدع "حورية" لوحدها، خاصّة وأنّها حزنت بشدّة لزواج "عبد النّور" من غيرها، فقد وقف معها في محنها الأخرى المتعلّقة بهروب أختها "وهيبها" من البيت، ومرض والدتها.

- **شخصيّة "عبد النّور":**

هذه الشّخصية المحوريّة في الرّواية، عاشت الكثير من الأحداث، فـ "عبد النّور" كان قد خضع لعمليّة جراحيّة على قلبه، وتمّ زراعة قلب إسباني له، على يد الطّبيبة "صوفيا"، هذه الطّبيبة التي أحبّها حبّا جمّا، إلّا أنّ الظّروف حالت بين اجتماعهما معا.

- **شخصيّة "أبّا هدي":**

هذه الشّخصية مثّلت صورة الأب المحبّ لعائلته، ورغم أنّه لا يملك الذّكور، إلّا أنّه لم يكن يكره البنات أيضا، تقول السّاردة:" الجميع يتّفق أنّ أبّا هدي كرّس حياته لأبنائه، فلقد كان أبا صالحا."[18]

نستنج أنّ علاقة الشّخصيّات الذّكورية في هذه الرّواية بالقضايا المتعلّقة بالنّساء، كانت علاقة ديناميّة تحكمها العديد من المفاهيم كمفهوم التّحدي/ التّجاوز/ التّكامل/ الحرمان/ الضّياع وغيرها.

4.2 المرأة وقضايا المجتمع:

ما يميّز هذه الرّواية الإبداعيّة، أنّها تعبّر عن الواقع الاجتماعي الجزائري الصّحراوي المليء بقضايا كثيرة وشائكة اختارت الكاتبة شخصيّاتها بعناية، وقد تمثّلت في عائلة فقيرة في بشار، هذه العائلة عاشت ظروفا قاسية بين الفقر والمرض، وهذا لم يمنعها من الوصول إلى السّعادة والتّضامن، فتلك الشّخصيّات البسيطة هي التي دارت حولها كلّ الأحداث، ولذلك فهذه القضايا ذات الأبعاد الاجتماعيّة، لا ترتبط فحسب بالأنثى وحدها؛ بل عبّرت عن قضايا الرّجل أيضا ونجد من بين القضايا الاجتماعية الواردة فيها، والتي تتعلّق بعادات وتقاليد الإنسان الجزائري عامّة، والصّحراوي خاصّة، ما يلي:

- **قضيّة إنجاب الإناث:** هذه القضيّة التي شغلت بال عائلة "أبّا هدي" وزوجته "أم العيد"، اللّذان رزقا البنات أوّلا وعانا من تسلطّ المجتمع وكلامه القاهر في تأخّر إنجاب الذّكور، ومن حماتها "أما سيتي" التي كانت تهدّدها دائما بالثّانية، تقول السّاردة:" فقد ولد ذكرين وسط ثلاث بنات مسعودة ومبروكة والعايشة، والدتهم خالتي أم العيد أدركت قيمة أن تلد ذكرا بعدما كانت لا تنجب إلّا البنات وبعد طول انتظار، لذا كانت فرحتها غامرة، وهي تضع الذّكر الذي سجّل انتصارها على القهر والظّلم ... فمع مجيء أيوب أنساها ألمها وكلام الجدّة الجارح، بأنّها عاجزة عن إنجاب الذّكر، أنساها قسوة هذه وهي تحرمها من الاستمتاع بلذّة الوحم."[19] فالذّكر وحده هو الذي سيحافظ على استمرار النّسل وهو الكفيل بجعل الأمهات تعشن حياة مستقرّة، ودائمة في بيت الزّوجية، والحصول على الوقار والمكانة الطّبيعيّة والمرموقة في قلب المجتمع، وعلى حسب قول "أما سيتي": (لي ما عندها الرّجال تكوي صدرها بالأحجار)، فالذّكر سند ودرع ومفتاح سعادة الأم.

أمّا الوالد "أبّا هدي" وحتّى يبتعد عن قسوة كلام النّاس، كان لا يجالس النّاس إلّا قليلا، ورغم أنّه كان يحبّ بناته كثيرا إلّا أنّ الكلام النّاس لا يرحم، لقد تغيّر حاله بعد إنجاب "أيوب" و"عبد النّور" وتخلّص من عقدة النّقص التي أصابته. وهنا يتبدّى لنا أنّ مكانة الذّكر تكون قبل مكانة الأنثى، ولا يمكن تغيير هذه الحقيقة في المجتمع الجزائري.

- **نسق المرأة المناضلة:** من خلال عُنوان الرّواية (قلب الإسباني)، نجد أنّ الرّوائيّة أرادت توصيل رسالة قويّة للمتلقّي من أجل السّعي حثيثًا إلى استرجاع هويّة الوطن من خلال استرجاع إرثه الثّقافي والتّاريخي، وإعادة رسم ملامحه من جديد.

يظهر أنّ الرّوائية قد تأثّرت بأصالة المكان (بشار) الذي تعيش فيه، ولهذا نجدها تتحدّث عن الهويّة والأصالة في كلّ شيء (في اللّغة، المكان، الشّخصيّات، اللّباس، العادات والتّقاليد.)

ثمّ إنّ وقوف المرأة في حرب التّحرير الوطنية مع الرّجل جنبا بجنب؛ قد جعل لها اعتبارا كبيرا في الحياة والثّورة، فكانت شخصيّة "أمّا سيتي" الجدّة اللّبؤة، خير مثال على ذلك، فقد كان يحسب لها ألف حساب، تقول السّاردة: " كان زوجها السّي العربي يحترمها ويجلّها، أنجبت منه المهدي واستشهد، عزاؤها بعده هو استقلال الجزائر، وأنّ ابنها الوحيد سينجب لها سلالة من الرّجال يشبهون جدّهم الشّهيد رحمه الله." إنّ الشّخصية المناضلة والمكافحة هي صورة من صور هويّة المرأة الفاعلة والمستقلّة جسديّ وفكريّا واجتماعيّا.

كانت "أما سيتي" مثال المرأة الثّوريّة المناضلة، التي حملت السّلاح ضدّ المستعمر الغاشم، كان لها اسم مستعار في الثّورة كانت تُعرف به وهو اسم (السّي قدور)[20] ، إنّها امرأة سمراء طويلة مُمتلئة الجسم، لها هيبة خاصّة في حيّها الشّعبي (الدبدابة) وفي المنطقة التي تعيش فيها ككل، ونفس الشّيء بالنّسبة لشخصيّة "أم العيد" المناضلة ضدّ قهر الأسرة والمجتمع، وشخصيّة "حوريّة" التي عانت من مشاكل أسريّة محزنة، و" أخت علال" التي تزوّجت رجلا لا يحبّها، ورغم ذلك بقيت بجانبه من أجل ابنها الذي فعلت المستحيل من أجل أن يعيش بأمان.

- **المرأة المثقّفة والمتعلّمة:** مثّلت شخصيّة "صوفيا" المرأة القويّة المتعلّمة، الطّبيبة المتحرّرة التي أنقذت حياة "عبد النور" بإجراء عمليّة جراحيّة له على مستوى القلب، وزرعت له قلبا إسبانيّا جديدا جمعتهما علاقة حب مُؤقّتة فبعد إبلاغ "صوفيا" عن "عبد النّور" بأنّه يخدم الجماعة الإرهابيّة، دخل السّجن لفترة، وبعد خروجه منه عاد إلى أهله ووطنه، وفوجئ بوفاة أمّه التي حزنت عليه كثيرا على غيابه.

5.2 نسق الأنا والآخر (علاقة تأثّر وتأثير):

حوت هذه الرّواية على العديد من المشاهد الحيويّة، التي تصوّر قضيّة التّأثر والتّأثير بالآخر، سواء على المستوى الدّيني أو العرقي أو الأخلاقي أو الإيديولوجي، أو حتى على مُستوى المعتقدات والعادات والتّقاليد، ونجد من بين أشكال هذا التّأثر والتّأثير في الرّواية سواء من النّاحية الإيجابيّة أو السّلبية ما يأتي:

- **شخصيّة "عبد النور"**: هو صاحب الشّعر الأشقر والعينين الخضراوين، كان أقاربه وأهل حيّه يلقّبونه بالإسباني، لقد كان لهذا اللّقب تأثير كبير على عبد النّور، وربّما هذا ما دفعه إلى الهجرة نحو إسبانيا. تعلّق بالآخر وانصهر في حضارته وثقافته. فـ"عبد النّور" منذ صغره كان مُتمرّدا، فهو رمز التّمرد على العائلة والمرض والوطن، تعرّف على "صوفيا" هناك وجمعت بينهما علاقة حبّ كبيرة كلّلت بالزّواج "وأصبح كلّ منهما جزيرة سلام كانت تفتقدها فارتمت في حضنه، ومن ليلتها صارت جزءا من حياتها."[21] كيف لا يتعلّق قلبه بها، وهو يحوي داخل جوفه قلبا إسبانيا!، مع أوّل نبضة له" أعاد إليه انتكاسة الأندلس."[22] تحوّل هذا التّأثر بالآخر الأوروبي إلى طريق للبحث عن جذور الحضارة الأندلسيّة، التي تمثّل إحدى رموز الحضارة العربية الإسلامية المجيدة، إنّه بحث عن الهويّة والانتماء.

تتحدّث الرّواية عن موضوع مُهمّ وحسّاس، يتمثّل في ذلك الانفتاح والاندماج الإيجابي للحضارات والثّقافات، عمدت الرّوائية من خلاله إلى إعادة إحياء التّاريخ _ التّاريخ الحضاري _ عن طريق القلب الإسباني المزروع بين ضلوع عربيّة جزائريّة فاستجابة جسم عبد النّور لقلب إسباني، يبيّن لنا أهميّة إذابة العوائق بين الأعراق والحضارات، طلبا للتّوافق والتّكامل، تقول السّاردة:" أكثر ما يدهش صوفيا هو تجاوب جسم عبد النّور مع القلب الإسباني، الذي زرع له، أمّا أكثر ما يذهل عبد النّور هو ذلك الانصهار بينه وبين صوفيا، كلّ الفوارق بينهما ذابت، حتّى الفوارق الدّينيّة والعرقيّة."[23] وهذه إحدى تمثّلات انفتاح الأنا على الآخر.

- **شخصيّة "علّال"**: هي شخصيّة مُنفلتة مُدمنة، وغاضبة ومنبوذة، مُتمرّدة على الواقع الاجتماعي الذي تعيش فيه فبعد مرض والده وزواج حبيبته، اختار الهجرة إلى إسبانيا هربا من تلك الظّروف القاسية ولكنّه وجد نفسه يسير في طريق مجهول وخطر، أكثر ممّا كان عليه في الجزائر، فقد أصبح يتعاون مع جماعة إرهابيّة من أجل أن يحصل على المال وبسرعة، ولم يكفه هذا بل أراد توريط "عبد النّور" معه في جرائمه قبل موته، فبعد أن وجد في "عبد النّور" رائحة الوطن والأهل والصّحبة، حاول تشويه سمعته ونجح في ذلك كلّ النّجاح، فانقلبت حياة "عبد النّور" رأسا على عقب وخسر حياته وزوجته، تقول السّاردة: "بدأوا بإطلاق إشاعة كفيلة بتشويه عبد النّور الصّيدلي، مفادها بأنّه يصنع متفجّرات بدلا من الأدوية."[24] هي صورة الأنا في مُقابل الآخر، التي تجرّ العواقب السّلبية لها ولمن حولها، جرّاء تفلّتها وضياعها، وتشبّثها بمبادئ خاطئة.
- **شخصيّة "المهدي ابن أيوب"**: هذه الشّخصيّة تبيّن لنا تأثّر الأنا بالآخر العربي، عن طريق علاقات التّشابه والانتماء إلى الحضارة العربيّة الإسلامية، كان "المهدي" يشبه عمّه "عبد النّور" كثيرا، في لون عينيه وحتّى في تفكيره وغربته، لطالما كان يبحث عن إيجاد هويّته من خلال الآخر. تعلّق "المهدي" بمواقع التّواصل الاجتماعي تعلّقا كبيرا ما جعله يتعرّف على شخصيّة "عبد زهرة" العراقي، الذي كان يراه مُتميّزا في لباسه وتفكيره، هذا الأخير الذي زار (بشار) باحثا عن خاله، وقد استغلّ هذه الزّيارة ليلتقي بصديقه "المهدي ابن أيّوب".
- **شخصيّة "وهيبة"**:

كانت "وهيبة" شخصيّة فريدة، اختارت الحريّة والخلاص من قيود المجتمع، الذي كان ينظر إليها دائما نظرة نقص ودونيّة، هي امرأة جميلة ومتعلّمة، هربت من بيت عائلتها، وتعرّفت على الرّجل السعودي "فهد" صاحب المال الكثير، وتزوّجت به سرّا، ورافقته إلى (دبي)، فـ" فهد" مثّل لها الأمان والحياة السّحرية التي كانت تحلم بها خاصّة وأنّها على امتداد أربع سنوات من الدّراسة، لم تستطع الحصول على وظيفة تناسبها.

إنّ هذا التّمرد على أعراف المجتمع الجزائري وقوانينه، عاد بشخصيّة "وهيبة" إلى النّدم الشّديد، حيث أنّ حياتها السّعيدة التي رسمتها مع "فهد" انتهت بسرعة البرق، فقد فقدت روحها وكيانها جرّاء هذه التّجربة الفاشلة

وعادت إلى وطنها تجرّ خيبة الأمل، وتلوم نفسها على التّسرع في الوثوق بالآخر، تقول السّاردة:" عادت حمامة جريحة، مكتوبة بجمر تجربة محترقة بنار النّدم مُتمنّية لو عادت إلى زقاق عمي سالم لتقبّل ترابه، وتبكي بين يدي حورية ووالدتها."[25]

فقضية الذّوبان أو الانبهار أو الانفتاح على الآخر قضية خطيرة، إذا ما تمّ الانتباه والتريّث والتّفكير بشكل منطقيّ ذلك أنّ الجري وراء وهم البحث عن الذّات والهويّة، دون وضع حدود أو معايير مُعيّنة، تحمي الذّات من الانفلات والضّياع، من شأنه أنْ يضع الذّات في طريق مسدود ومُميت، وقد بيّنت لنا الرّوائية من خلال شخصيّاتها الأنثوية تلك، أنّها شخصيّات فاعلة وكان لها دور كبير في تمثّل صور علاقة الأنا بالآخر.

6.2 نسق التمرّد/ السّلطة الأنثوية في مُقابل السّلطة الأبويّة:

تحكي الرّواية عن قضيّتي المركز والهامش المتعلّقة بالذّكر الذي كان يرى نفسه هو النّاهي والآمر والحاكم الوحيد في أسرته وعلى الأنثى خاصّة، ولكن الكاتبة "جميلة طلباوي" في روايتها هذه قتلت السّلطة الذّكوريّة وأحيت السّلطة الأنثويّة، ممّا سمح لها بتمرّدها على الواقع والمجتمع، من خلال شخصيّة "وهيبة" أحد أبطال الرّواية.

- **"شخصيّة وهيبة"**: هي من الفواعل الرّئيسيّة التي تمتلك القوة والمواجهة والتحدّي، إنّها شخصيّة تبحث عن الحريّة في حيّها، لطالما أرادت أن تمارس هواياتها بدون خوف ومعارضة، تقول السّاردة:" تمنّت لو مارست رياضة كالسّباحة والتّنس، لكن بيئتها الاجتماعيّة لم تساعدها لتحقيق أحلامها التي كانت تعيشها في الأفلام، فترى نفسها بطلة الفيلم، وتحلم ببيئة تختلف عن زقاق عمي سالم ... وهيبة غادرت مبكّرا في رحلة بحث عن وظيفة، بدأتها منذ أربع سنوات، منذ تخرّجها وكلّما قابلت مدير مؤسّسة إلّا وتحرّك الذّئب الجائع فيه، لقد باتت تعتقد بأنّ جمالها لعنة ... كلّ شيء من حولها بدأ بالإحباط واليأس، ولم تعد ترى من حلّ سوى الخروج من دائرتها الضّيقة، من زقاق عمي سالم، بل من مدينة بشار كلّها."[26] هذا التّقييد الاجتماعي هو الذي جعل "وهيبة" تغادر ولايتها بشار إلى الجزائر العاصمة، بحثا عن الاستقلاليّة والحياة السّعيدة. غادرت "وهيبة" الجزائر إلى دبي، هربًا من السّلطة الأبوية التي يعزّزها المجتمع، ومن القمع الثّقافي والسّياسي الظّالم لها.

حاولت الرّوائية "جميلة طلباوي" من خلال شخصيّتها المتمرّدة هذه "وهيبة" أنْ تؤكّد للمتلّقي أنّ تحرّر المرأة واستقلاليّتها والبحث عن هويّتها الضّائعة، أو الوقوف في وجه أشكال السّلطة الذّكورية وتحدّيها، لا يعني مُطلقا التّخلي عن قيمها وأخلاقها أو التعدّي على أعراف المجتمع وتقاليده ودينه، فحلم "وهيبة" في السّعي إلى تحقيق ذلك، كان ثمنه باهظا جدّا، لقد خسرت روحها وعائلتها ونظرة المجتمع لها.

كسرت الكاتبة مقولة "المرأة ناقصة عقل ودين" المتداولة في المجتمع الذّكوري الجزائري، وعزّزت من مقولة "المرأة نصف المجتمع"، لأنّها هي الأم وهي المربّية وهي المجتمع كلّه.

3. نسق الطّقوس والمعتقدات الشّعبيّة:

انتقت الرّوائية "جميلة طلباوي" بيئة اجتماعيّة صحراويّة، تمثّل مجموعة من الموروثات الثّقافية والشّعبية، التي تعبّر عن المنطقة (بشار) وثقافتها، ورغم تنافي هذه المعتقدات مع تعاليم الدّين الإسلامي، إلّا أنّها موجودة للأسف، ونجد من ضمن تلك الطّقوس أو المعتقدات الشّعبية ما يلي:

أ) **ضريح الأولياء الصّالحين**: الضّريح هو القبر أو المكان المقدّس، الذي يقصده النّاس قصد التبرّك هو أشبه بغرفة يتوسّطها قبر الوليّ، ثمّ إنّ الوليّ الصّالح هو شخصيّة عادية قام الشّعب بتقديسها وإطلاق تسميات للتّعبير عنها مثل: "سيدي عقبة" و"سيدي عبد القادر" و"سيدي علي" و"سيدي راشد" وغيرها، هذه الشّخصيات تتّسم بالزّهد والوقار والصّلاح، تتبع هذه الزّيارة طقوس معينّة كـ: ذبح الدّيك، وضع الحناء، إشعال الشّموع.

ب) **الزّردة/ الوعدة**: هي عبارة عن احتفال ديني، يقوم به أشخاص لهم صلة بوليّ ما، طلبا للبركة وجلب الخير للعباد، وكانوا قد تعهّدوا بشيء ما قد عزموا عليه، ولذلك فهي طقس من الطّقوس يؤدّيها المريدون أمام قبر الوليّ الصّالح.

ت) **اللّجوء إلى الدّاية**: كان لداية الحي "أما عقيدة" مكانة كبيرة لنساء المنطقة، فقد لجأت إليها الجّدة "أما سيتي" وطلبت منها مساعدتها في تحقيق أمنيتها بأن يكون لولدها ذكرا!، وتعمل لها وصفة مناسبة لذلك وتعطيها لكنّتها لتشربها،" توسّلت إليها بأن تعطيها وصفة تحقّق لها الأمنية فتحبل كنّتها بالذّكر."[27]

ث) **إشعال البخور**: الكثير من النّاس يؤمنون بالعين الحاسدة، فعند مرض كلّ من "أيوب" و"عبد النور" راحت الجدّة تشعل البخور في أرجاء البيت لتطرد العين واللّعنة منه، ولكنّ هذا الأمر لم ينفع، فأخذتهما إلى الطّالب "السّي أحمد" بعد أن قبّلت رأسه ويده، فقام الشّيخ بتعليق تميمتين لكلّ منهما على صدره، وبعد فشل عمل هذه التّمائم وضع "عبد النور" في سلّة وردّدت عليه تمتمات من أصوات تقول: (حيشي حيشي ما بغي لميشي أطلق سراحه يا ربي)، وساروا به في الزّقاق لملء السّلة بالدّقيق والسّكر،" لعلّ في العطيّة الثّقيلة بركة."[28] كلّ هذه الجهود التي بذلتها الجدّة "أما سيتي" باءت بالفشل، واضطرّت للذّهاب مع العائلة إلى طبيب القرية الإسباني المقيم في بشار، من أجل مُعالجة الصّبي، وقد استطاع الطّبيب تقييم حاله، وقال بأنّه يعاني من مرض التهاب سحايا الدّماغ, وها اعتنعت الجدّة بمقدرة الطّبيب وقالت:" وهنا أثبت الطّبيب السبنيولي تفوّقه على تمائم الطّالب السّي أحمد."[29]

هذا المنعطف الذي عرفته أحداث الرّواية، جعلت النّساء أكثر وعيًا ومعرفة بحالهنّ وأمورهنّ، فقد أصبحت النّساء إذا شعرن بالمرض تذهب إلى الممرّض "أيوب" الذي كان يشخّص حالاتهنّ، ويقيس لهنّ السّكر والضّغط ولم يعدن يتوجّهن إلى الطّالب "السّي أحمد" كما كنّ يفعلن سابقا. تقول السّاردة:" أصبحن يقصدن الممرض أيوب، فمهنته كممرض غيّرت حياة النّسوة العجائز في الحيّ، فيذهبن إليه من أجل أن يقيس لهنّ ضغط الدّم ونسبة السّكري في الدّم، يستقبلهنّ في مصلحة العلاج ويرشدهنّ إلى الطّبيب."[30] وهذا يدلّ على بروز وعي المرأة الثّقافي في الرّواية.

ج) **تعليق التّمائم:** إنّ زيارة الطّالب أو الشّيخ في المجتمع الصّحراوي أو الجزائري ككلّ، ظاهرة متفشّية كثيرا في الوسط، رغم التّطور العلمي التي تشهده البلاد، فقد كان النّاس يعتقد بأنّ الشّيخ له مقدرة على الشّفاء، وله حلّ لكل المشاكل التي يعانون منها، لم تكتف الجّدة بالذّهاب إلى الدّاية بل لجأت كذلك إلى الطّالب "السّي أحمد" حتّى يساعدها في مشكلتها المتعلّقة بالحصول على حفيد ذكر، تقول السّاردة:" عادت أما سيتي من زيارتها للطّالب السّي أحمد ذات مساء، وهي تحمل تميمة وتأمرها بأن تعلّقها لعلّها تنجب الذّكر، فقد كلّفتها تلك التّميمة عكّة كاملة، أهدتها للطّالب السّي أحمد، لم تعترض خالتي أم العيد على التّميمة، أمسكتها بيدها وخبّأتها في صدرها وظلّت ملتزمة صمت الصّابر المحتسب."[31]

ح) **إرضاع الصّبي من امرأة سوداء:** في الوقت الذي استطاعت "أم العيد" فيه إنجاب ذكر للعائلة حدث وأنْ مرض وليّ العهد "أيوب" مرضا شديدا، فتوجّهت العائلة به إلى خادمة الزّاوية "طامو" لترضعه من حليبها الذي فيه البركة والشّفاء، وبعد مدّة تماثل للشّفاء تماما واشتدّ عوده، وآمن الجميع بقُدرة هذا الحليب على الشّفاء وهذا ما أكّدته العجوز "فاطمة" عندما قالت:" إنّ حليب المرأة السّوداء فيه أسرار كثيرة."[32]

كان لجوء النّاس لمثل هذه المعتقدات، ينمّ عن قلّة الوعي الحضاري لديهم، خاصّة إذا تحدّثنا عن الفترة التي كان فيها الاستعمار الفرنسي موجودا، فبسببه تفشّى الجهل في الوسط الاجتماعي الجزائري، وتغلغل في أعماقهم بشدّة.

4. النّسق الدّيني في الرّواية:

- **القرآن الكريم:** يلجأ الكاتب إليه من أجل إعطاء بعد ديني لنصوصه، بحسب السّياقات المناسبة لها فلم تغفل الكاتبة "جميلة طلباوي" التكلّم عن الإسلام والقرآن العظيم على لسان شخصيّاتها، لأنّهما من ركائز الإنسان الجزائري، تقول السّاردة:" أصبحت الجدّة أما سيتي تتصدّر المجالس النّسوية باعتزاز وهي تتحدّث عن حفيديها وكيف أنّهما يحفظان القرآن في الكتّاب."[33] وهذا ينمّ عن حرص الأهل والأم خاصّة بتحفيظ أبنائها القرآن منذ الصّغر، ليتعلّم الأولاد الدّين على أصوله.

- **الدّعاء:** الدّعاء من أجود العبادات التي يحبّها الله تعالى، يقوم على سؤال العبد ربّه والطّلب منه ما يشاء، وهذا ينمّ عن قوّة الإيمان بالله وقدرته على نصر عباده، كما يدلّ استعماله في النّص الأدبي على الثّقافة العربيّة الإسلامية الجزائريّة.
- **الصّلاة:** الصّلاة ركن من أركان الإسلام، والآذان هو إعلان عن وقتها، وتوظيفهما في النّص يعكس موروثا عربيّا دينيّا خاصّا. نجد منها في الرّواية صلاة: الفجر، العصر، العشاء.
- **المسجد:** هو دار العبادة، يجتمع النّاس في الجامع من أجل الصّلاة أو حضور دروس دينيّة، وهو رمز للإسلام.

5. خاتمة:

تتحدّث هذه الرّواية المدروسة إذن، عن موضوع مُهمّ وحسّاس، يتمثّل في ذلك الانفتاح والاندماج الإيجابي للحضارات والثّقافات، عمدت الرّوائية من خلاله إلى إعادة إحياء التّاريخ _ التّاريخ الحضاري _ عن طريق القلب الإسباني المزروع بين ضلوع عربيّة جزائريّة، فاستجابة جسم عبد النّور لقلب إسباني؛ يبيّن لنا أهميّة إذابة العوائق بين الأعراق والحضارات، طلبًا للتّوافق والتّكامل، فمن خلال ما تمَّ عرضه في هذه الدّراسة، يمكن تسجيل النّتائج الآتية:

- يدلّ استحضار التّاريخ وصوره في العمل الإبداعي، على امتلاك الرّوائيّة رصيدا معرفيّا وثقافيّا كبيرًا فالاهتمام بالماضي مُهم لأنّه من خلاله يتمّ العبور إلى الحاضر وليس العكس، وهذا ما تبيّن لنا من خلال استحضار حضارة الأندلس في الرّواية.
- حوت الرّواية على بعض الرّسائل المشفّرة، كعدم الرّضا على الوضع الثّقافي والاجتماعي الذي تعيشه الشّخصيّات.
- سعت الرّوائية إلى توعية الشّعب الجزائري (البشاري)، من خلال إعادة تذكيرهم بتاريخهم وأصالتهم من أجل الحفاظ على الهويّة الجزائريّة، وتصحيح بعض المعتقدات الخاطئة التي انتشرت في الأوساط.
- أثبتت الرّواية أنّ وجود المرأة يتجسّد من خلال وقوفها جنبا إلى جنب مع الرّجل، وليس الرّضوخ له تحت مسمّى العادات والأعراف، فالعلاقة بينهما هي علاقة تكامل وانسجام، وليس صراع وسطوة وقمع وتهميش، نفي وتقييد.
- استطاعت الأنثى أن تثبت ذاتها ووعيها بهويّتها، من خلال إعلاء صوتها وإثبات وجودها بكتابة أنثويّة مُميّزة.
- أعادت المرأة التّفكير في مُعطيات الثّقافة الأبويّة، وإبطال مبدأ الهيمنة أو المقولات التي تهمّشها وتقف في وجهها وفهمت أنّها تمتلك هي الأخرى سلطة فاعلة في الآخر "الرّجل" والمجتمع على حدّ سواء.

- نجحت المرأة من خلال عامل الكتابة نقد القهر الاجتماعي والذّكوري الذي عاش طويلا وقبع في مفاصلها الأساسيّة.
- عرفت المرأة كيف تحرّر نفسها من كلّ هذا الظّلم الاجتماعي الذّكوري المسيطر، واسترجعت ذاتها المسلوبة بطرق فنيّة إبداعيّة، عبّرت من خلال أعمالها الرّوائيّة، عن أشكال مُختلفة من المسكوت عنه.
- تميّز الواقع اللّغوي للكتابة السّردية عند "جميلة طلباوي" بالقدرة على استنطاق الشّخصيّات، ونسج حوار فاعلي فيما بينها أوصل للمتلقّي الرّسالة بشكل ممتع ورمزي.
- عكست شخصيّات الرّواية (قلب الإسباني)، هوية الأنثى الجزائرية ومدى ارتباطها بالواقع الاجتماعي الذي تحيا فيه فعالم الشّخصية هو معادل موضوعي للذّات الأنثوية نفسها.
- أثبتت الأنثى مقدرتها وفاعليّها في الحياة والمجتمع والثّقافة، من خلال كلّ تلك الصّور التي عكست للمتلقّي أهميّة معاني التحدّي والمواجهة، والوقوف في وجه السّلطة الذّكوريّة.
- عمدت الكاتبة إلى المزج بين اللّغة الفصحى والعامّية، لأنّ ذلك يساعد في استيعاب القضيّة المتحدَّث عنها داخل النّص، ثمّ إنّ الاستعانة باللّغة الدّارجة ــ التي هي ترجمة للواقع المعيش ــ يساعد على تمرير الرّسائل المشفّرة إلى كلّ النّاس، سواء الطّبقة المثقّفة أو غيرها. لذلك نلحظ تنوّعا لغويّا في بناء الرّواية وأيضا المزج بين حضارتين من خلال فكرة زرع قلب إسباني بين أضلع عربيّ جزائريّ مسلم.
- أثبتت الكاتبة لمتلقّيها أنّ تحدّي السّلطة الذّكورية والوقوف في وجه المجتمع المعادي للمرأة، لا يعني أبدًا الخروج عن القيم والدّين والأخلاق.

في الأخير نرجو أن يكون هذا البحث نافذةٌ للباحثين الآخرين، من أجل الاهتمام بدراسة الرّواية النّسائية من زوايا مُختلفة، من أجل فهم سبل تفكير الأنثى، وتفسير طرقها في التّعبير عن الواقع الاجتماعي والثّقافي وغيرهما.

6. الهوامش:

[1]- ينظر: عبد المنعم تليمة: مُقدّمة في نظريّة الأدب، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، (د.ط)، القاهرة/ مصر، 1997م، ص174.

[2]- عبد الله الغذامي: النّقد الثّقافي (قراءة في الأنساق الثّقافية العربيّة)، المركز الثّقافي العربي، ط3، المغرب، 2005م، ص84.

[3]- ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيزت، ص492، مادّة (ثقف).

[4]- تأليف جماعي: نظريّة الثّقافة: تر علي السّيد الصاوي، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والأدب، (د.ط)، الكويت 1997م، ص8.

[5]- ينظر: تيري إيجلتون (Terry Eagleton): الثّقافة، تر لطيفة الدليمي، دار المدى، ط1، العراق، 2018م، ص18.

[6]- بيار بورديو: الهيمنة الذّكوريّة، تر سليمان قعفراني، المنظّمة العامّة للتّرجمة، ط1، بيروت، 2009م ص184.

[7]- خالد حوير الشّمس: النّسق الثّقافي وأثره في البناء النّصي النّثري الصّوفي، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، عمان، 2021م، ص14.

[8]– ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادّة (ضمر).

[9]– شعيب حليفي: ثقافة النّص الرّوائي، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، ط1، الدّار البيضاء/ المغرب، 2016م، ص54.

[10]– ينظر: ريمة لعواس: سؤال الذّات والهويّة في الكتابة النّسائية من منظور النّاقد محمد معتصم، مجلّة القسم العربي، ع27، 2020م، ص91.

[11]– جميلة طلباوي: قلب الإسباني، منشورات الوطن اليوم، ط1، سطيف/ الجزائر، 2008م، ص13.

[12]–الرّواية: ص75.

[13]– الرّواية، ص75.

[14]– شعيب حليفي: ثقافة النّص الرّوائي، ص54.

[15]– الرّواية، ص84.

[16]– الرّواية، ص47.

[17]– الرّواية، ص139.

[18]– الرّواية، ص45.

[19]– الرّواية، ص17.

[20]– الرّواية، ص21.

[21]– الرّواية، ص48.

[22]– الرّواية، ص50.

[23]– الرّواية، ص56.

[24]– الرّواية، ص179.

[25]– الرّواية، ص156.

[26]– الرّواية، ص160_ 105.

[27]– الرّواية، ص19.

[28]– الرّواية، ص29.

[29]– الرّواية، ص34.

[30]– الرّواية، ص73.

[31]– الرّواية، ص21.

[32]– الرّواية، ص12.

[33]– الرّواية، ص44.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- بيار بورديو: الهيمنة الذّكوريّة، تر سليمان قعفراني، المنظّمة العامّة للتّرجمة، ط1، بيروت، 2009م.
- تيري إيجلتون: الثّقافة، تر لطيفة الدليمي، دار المدى، ط1، العراق، 2018م.
- خالد حوير الشّمس: النّسق الثّقافي وأثره في البناء النّصي النّثري الصّوفي، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، عمان 2021م.
- جميلة طلباوي: قلب الإسباني، منشورات الوطن اليوم، ط1، سطيف/ الجزائر، 2008م.
- ريمة لعواس: سؤال الذّات والهويّة في الكتابة النّسائية من منظور النّاقد محمد معتصم، مجلّة القسم العربي، ع27 2020م.
- شعيب حليفي: ثقافة النّص الرّوائي، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، ط1، الدّار البيضاء/ المغرب، 2016م.
- عبد المنعم تليمة: مُقدّمة في نظريّة الأدب، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، (د.ط)، القاهرة/ مصر، 1997م.
- عبد الله الغذامي: النّقد الثّقافي (قراءة في الأنساق الثّقافية العربيّة)، المركز الثّقافي العربي، ط3، المغرب، 2005م.
- تأليف جماعي: نظريّة الثّقافة: تر علي السّيد الصاوي، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والأدب، (د.ط)، الكويت 1997م.